الاثنين 30/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة تفسير جزء قد سمع

سورة المجادلة (2)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا هو الدرس الثاني في تفسير سورة المجادلة، وقد بدأنا في موضوع الظهار وأحكامه، واليوم نطرح مسألة قديمة وحديثة تثار وهي مسألة **حقوق المرأة**.

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلَ شَبَابِي وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبِرَتْ سِنِّي وَانْقَطَعَ لَهُ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ** [الحاكم وابن ماجه والنسائي].

عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: **الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الأَصْوَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [البخاري].

فهذه امرأة جاءت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لتعيد مقالتها ويعيد مقالته صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى تثبيتاً لحقها وتصويباً لكلامها ودفعاً لمظلمتها.

امرأة في الإسلام كانت سبب نزول سورة سميت باسم واقعتها المجادِلة.

في الإسلام الرجل والمرأة صنوان فكلاهما من خلق الله تعالى ولكل منهما حقوق مثبتة وعلى كل منهما واجبات ملزم بها.

لا يوجد في الإسلام صراع بين الرجل والمرأة، ولا يوجد هجوم من الرجال على النساء، ولا هجوم من النساء على الرجال.

ليس من الصحيح ما يأتي من الشرق والغرب أن المرأة تريد أن تأخذ حقوقها بأسنانها من الرجال وكأن الأمر صراع معركة فإما قاتل وإما مقتول، وكأن المرأة موجودة في مجتمع ذكوري وقد هضم المجتمع والتشريعات لها حقوقها وهي تسعى لتحصيلها.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنْ وَلَدِهَا، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: «وَاثْنَتَيْنِ»** [البخاري].

تأتينا كلمات من الشرق أو الغرب تريد أن تجعل المرأة كالرجل فتعمل عمله، وتدرس دراسته، وتحكم في البيت حكمه، وتسير في الطريق سيره، وترتدي ثيابه، وتقص شعرها كشعره... حتى وصل بنا الأمر أن نرى نساء مترجلات كما نرى رجالاً متخنثين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: **«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»** [البخاري].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **«لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّسَاءِ» قَالَ: فَقُلْتُ: مَا الْمُتَرَجِّلاتُ مِنَ النِّسَاءِ؟ قَالَ: «الْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»** [الإمام أحمد].

نعجب من طرح على مستوى العالم يقولون فيه: إن الله لم يخلق رجلاً وامرأة بل خلق كائناً بشرياً لكن المجتمع هو الذي يجعل الرجل رجلاً والمرأة امرأة ولا بد من إزالة هذا التفكير النمطي!!

يعيبون علينا أن نشتري للابن سيارة وللبنت دمية ويزعمون أن صنعنا هذا هو ما يجعلهم ذكراً وأنثى، مع أن كل أبحاث الطب النفسي والجسدي يقول: إن المرأة مختلفة عن الذكر سواء في هيكلها الجسمي الفيزيولوجي والوظائفي، أو في أمور نفسية اختصها الله تعالى بها لأجل أن تمضى بها في الحياة، والله تعالى يقول: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ [النجم: 45]، ومع ذلك تجد أطروحات تقدم اليوم لأجل إلغاء هذا الأمر.

من أقبح ما في المرأة والرجل أن تفقد أنوثتها ويفقد رجولته، فهما يفقدان بذلك وجودها.

عندما تُزاحم المرأةُ الرجلَ أو العكس فإن ذلك يؤدي إلى فوضى في المجتمعات وخاصة في العلاقات الجنسية حتى صار الرجال يكتفون ببعضهم، والنساء يكتفين ببعضهن.

جعل الإسلام للمرأة حقوقاً تساوي حقوق الرجل على أساس كونها امرأة

ليس للمرأة أن تنازع زوجها القوامة في البيت؛ لأنها من اختصاص الرجل، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: 34]، وفي أي باخرة أو طائرة أو مستشفى يجب أن يكون هناك قائد واحد فلماذا لا ننازع هذا القائد، ثم نأتي لنثير في المرأة سموماً لتنازع زوجها في قوامة البيت؟!

لكن في نفس الوقت أعطى الله المرأة حقوقاً من اختصاصها، فلو أن امرأة حصل خصام بينها وبين زوجها فإن حضانة الأولاد تكون لها؛ لأن النساء أقدر على رعاية أطفالهن من الرجال فلكل منهما ميزة تميزه عن الآخر.

كل هذا الكلام عبارة عن خدعة أتت من الغرب؛ لأن لديهم في كل اثنا عشر ثانية تضرب امرأة حتى الموت، وهذا الكلام هم من قاموا بإحصائه؛ ولهذا كانوا بحاجة لمنازعة الحقوق، أما في الإسلام فتأتي السيدة خولة لتجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قضية مع زوجها ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع ثم ينزل الله سورة سميت باسمها وآيات لأجل قضيتها.

عَنْ أَبِي يَزِيدِ الْمَدَنِيِّ قَالَ: **لَقِيَتِ امْرَأَةٌ عُمَرَ، يُقَالُ لَهَا: خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ –وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّاسِ– فَاسْتَوْقَفَتْهُ، فَوَقَفَ لَهَا وَدَنَا مِنْهَا وَأَصْغَى إِلَيْهَا رَأْسَهُ، حَتَّى قَضَتْ حَاجَتَهَا وَانْصَرَفَتْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ؟، فَقَالَ: وَيْلَكَ وَهَلْ تَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: (هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ، وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَنْصَرِفْ عَنِّي إِلَى اللَّيْلِ مَا انْصَرَفْتُ عَنْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا، إِلَّا أَنْ تَحْضُرَ صَلَاةٌ فَأُصَلِّيَهَا، ثُمَّ أَرْجِعَ إِلَيْهَا حَتَّى تَقْضِيَ حَاجَتَهَا)** [الرد على الجهمية للدارمي، والأسماء والصفات للبيهقي].

الزوجة لا تعامل في بيتها إلا كأميرة فلها الأمر ولها المشورة، وكثير منا قبَّلَ قدم أمه، وعندما تأتي إليك ابنةٌ صغيرة تشفق أن تقبلها من رقتها، وعندما تجتمع العائلة والجاهات تراهم كلهم يتحلقون حول الجد والجدة اللذان هما كبار العائلة؛ فلهن عندنا مكانة عالية سواء كانت أماً أو زوجةً أو أختاً أو ابنة...

حضرنا عقد قران لشاب جاء معه ما يقارب العشرين رجلاً كلهم من جاهات البلد واستقبلنا في بيت العروس ما يقاربهم من الجاهات أيضاً ثم لما حضر وقت كتابة العقد استأذنا لنسأل العروس فوافقت، فمع وجود كل هذه الجاهات لا رأي لهم إذا لم توافق على هذا العقد.

آيات اليوم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: 5-6].

﴿يُحَادُّونَ﴾: **المحادَّة**: هي المعاداة والمخالفة.

أصل المحادَّة أن يكون الإنسان في طرف، والله ورسوله في طرف آخر على النقيض.

يحادد الإنسانُ اللهَ إذا حادد كتابه، ويحادد رسوله صلى الله عليه وسلم إذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر وهو يعارض هذا الكلام ويخالفه.

﴿كُبِتُوا﴾: أي أهلكوا وأصابهم الخزي وعذبوا ولعنوا.

أصل الجملة سيكبتون، لكن الله أخرج الكلام بلفظ الماضي تقريباً للمُخبَرِ عنه، فهو مقطوع به يقيناً.

﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ أي أخبرناكم بسير أقوام قبلكم حادُّوا الله ورسوله فكبتناهم، كأمثال قوم هود وصالح وشعيب.

المؤمنون الصادقون لا يخالفون كلام الله ورسول صلى الله عليه وسلم مباشرة وعناداً، لكننا نخشى المخالف أن يكون قد دخل في هذه الآية: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: 63] .

جمعت من القرآن الكريم بعضاً من أوامر الله عز وجل لنا؛ لنرى إذا كنا مع طرف أوامر القرآن أم مع من يخالفها:

1- قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: 43].

إذا كنت من أهل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فأنت بنفس الطرف، لكن من كان يتهرب من دفع الزكاة أو لا يصلي إلا في رمضان أو في يوم الجمعة فنخاف أن يكون في طَرَفٍ وآيات الله ورسوله في طرف آخر.

2- قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 188].

تَعْلَمُونَ: أي تعلمون الحرام ثم تفعلونه فمن فعل ذلك كان في حد وكلام الله في طرف آخر.

تعجب ونحن في داخل هذه الأزمة والبلية من تاجر يأتي ببضاعة من نوع رديء تعمل مرة واحدة ثم تتلف، أو تشتري جرة غاز لتجد فيها ماءً، وتشتري كيساً من البطاطا لتجد بداخله أحجاراً من الطين، وتشتري صندوق برتقال لتجد في داخله برتقالاً تالفاً.

أخبرني بعض الشباب أنه عمل في محل منظفات فطلب منه صاحب الغسيل أن يخلط الملح مع دواء الغسيل؛ لأنه ثقيل وثمنه رخيص.

وفي مقابل ذلك ترى أناساً معهم انضباط بالشرع وخوف على مصلحة الزبون ومراعاة لحالَةِ من يعمل عنده.

3- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: 228].

على المطلقة أن تتعبد الله في عدتها ببقائها في بيت زوجها لثلاثة حيضات أو أطهار على اختلاف الفقهاء، فإذا قررت برأي منها أو من أمها أو إخوتها أن تخرج من البيت وقد يخرج الخطأ من الزوج عندما يخرجها من بيتها، فإن فعلوا ذلك كانت هي وأهلها وزوجها في حد وكتاب الله في حد آخر.

أمر الإسلام المرأة أن تبقى في بيت الزوجية؛ لأنه أكثر من 90% من المطلقين يعود إليهم رشدهم بعد أيام ليقرروا إرجاع أزواجهم فإذا بقيت في بيت زوجها وقال لها: أرجعتك لكان الأمر يسيراً ولما خَبرُ أحد بما حصل ولبقي مع زوجته في احترامهما.

4- قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: 229].

أي أن الطلاق مرة فمرة، فلا يحل لأحد أن يقول لزوجته: أنت طالق ثلاثاً، أو أنت طالق مرتين، أو مئة مرة... وكل من خالف هذا الكلام فهو مخالف لأمر الله بما أمر.

قال أحد الشيوخ الكبار من أصحاب الفتوى: لم أر في حياتي إنساناً أراد الطلاق وطَبَّقَ هذه الآية ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

ما الطلاق إلا حل لمشكلة لا يذهب معها المودة بينهما.

5- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة: 264].

اشترى صاحب شركة لعامل لديه بيتاً عندما أراد الزواج ثم قَدَّمَ له غرفة النوم أيضاً لكنه لم يبق له في وجهه ماء من كثرة ما منَّنه فيما أعطاه، حتى تمنى العامل لو أنه صاحب العمل لم يعطه شيئاً.

6- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 278].

هناك الكثير من الآيات في كتاب الله تحمل أوامر لنا يتوجب علينا الامتثال بها.

لتحمي نفسك من الوقوع في مخالفة أمر الله يطلب منك ثلاثة أمور:

أ. **الإكثار من ذكر الله:** ذكر الله يجلو قلوبكم، فالقلب هو بيت الرب، فإذا عاش القلب صار يفهم على الله أوامره فيعرف، أما القلب الميت فترى صاحبه يقرأ القرآن ويسمعه ثم لا يفهم شيئاً.

ب. **مجالس العلم:** فمجالس العلم سبب لزيادة القرب من الله

وَقَدْ وَرَدَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**لَيْسَ مِنِّيْ إِلَّا عَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**» [الديلمي].

يستحيل أن تصل إلى الله من غير العلم، فمن لم يعلم الأوامر والنواهي فكيف يستطيع أن يعمل؟! وقد قال بعض الصالحين: كيف يتقي من لا يعلم كيف يتقي؟!

ت. **محبة الصالحين:** فبمحبهم ومجالستهم تنطبع فيك أخلاقهم وأعمالهم والتزاماتهم، أما إن كان أصدقاؤك من كل شكل ولون فلا نَجِدُكَ إلا وقد تَطَبَّعْتَ منهم.

قال الصالحون: **الطبع يسرق من الطبع.**

وقالوا: **عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد.**

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصبحه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.